مفهوم الشك
في
الفكر الفلسفي اليوناني

الأستاذ الدكتور

سعيد عبد الحميد الهوارى

أستاذ العقيدة والفلسفة

ووكيل كلية الدراسات الإسلامية

جامعة الأزهر

١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٨م

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونشكره ولا نكفره، ونعادي من يكفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له خصنا بخير كتاب أنزل، وشرفنا بخير نبي أرسل، وجعلنا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم أحينا على سنته وأمتنا على ملته واحشرنا في زمرته، وألحقنا بصحبته اللهم أمين. أما بعد...

فإن إنكار العلم وإنكار الحس، وإنكار العقل هو في الحقيقة نوع من أنواع الشك، والشك أزمة نفسية تعتري صاحبها، وغرضها الاستهتار والإلحاد ولفت النظر، لذلك حاولت في هذا البحث أن أوضح مفهوم الشك في اللغة والأصطلاح ثم حاولت أن أوضح أن الشك ليس على صورة واحدة وليس على نوعية واحدة بل هو مختلف من ناحية منشأه ومنهجيته والنتائج التي يوصل إليها مركزا على الشك الذي اتخذه الفكر اليوناني المنحرف منهجا لهم، وهو الشك الذي يتضمن استحالة المعرفة، وانعدام الثقة في أدواتها، ويكون في ذاته غاية لا وسيلة فيبدأ صاحبه شاكاً وينتهي شاكاً.

وكذلك أوضحت أن الفكر اليوناني ليس على منهج واحد بل وجد من مفكري اليونان من حاول تولد الحقيقة من نفوس الخصوم، من خلال استنباطها عن طريق توجيه الأسئلة إليهم في نسق منطقي وترتيب فكري، والغرض من ذلك تنبيه الأذهان إلى ضرورة التزام الدقة في اختيار

الألفاظ وإلى أن المعاني الموجودة في النفس لا سبيل إلى استخراجها إلا بالحوار البناء.

وقد اعتمدت في بحثي هذا المنهج الموضوعي العلمي من حيث العرض والتحليل، وحرصت على الوضوح في عرض المادة العلمية، راجياً من الله تعالى أن تكون مباحثه في متناول طلبة العلم بكل يسر وسهولة. اللهمّ علمنا علماً نافعاً، وانفعنا بما علمتنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّ الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

الأستاذ الدكتور
سعيد عبد الحميد الهوارى
أستاذ العقيدة والفلسفة
ووكيل كلية الدراسات الإسلامية
جامعة الأزهر
١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٨م

المبحث الأول
مدخل لدراسة الموضوع

تعريف الشك لغة واصطلاحاً:

أولا: الشك في اللغة:

الشك مصدر شك في الأمر يشك شكا إذا التبس، وهو يدل على التداخل، من ذلك شككته بالرمح وذلك إذا طعنته.

ومن هذا الباب الشك الذي هو خلاف اليقين، إنما سمي بذلك، لأن الشاك كأنه شك له الأمران في مشك واحد، وهو لا يتيقن واحدا منهما.

يقول ابن فارس: الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض [١]

لذلك توجد معانٍ كثيرة لمادة الشين والكاف منها:-

الشك بمعنى التداخل: الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض وهو يدل على التداخل، من ذلك قولهم شككته بالرمح وذلك إذا طعنته فدخل السنان جسمه [٢]

الشك بمعنى نقيض اليقين: فالشك يستخدم كمقابل لليقين فتقول شككت في الأمر وتشككت فيه: أي ذهب يقيني، وإنما سمي بذلك لأن الشاك كأنه شُك له الأمران في مشك واحد وهو لا يتيقن واحداً منهما،

---

[١] أبي حسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، (معجم مقاييس اللغة، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر- و التوزيع) ، ج ٣ ، ص. ١٧٣

[٢] محمود الطناحي وطاهر الزواري؛ النهاية في غريب الحديث ،دار إحياء للكتب العربية ، مصر ،ط١، ١٩٩٣،ص١٥٧

فمن ذلك اشتقاق الشك تقول: شككت بين ورقتين، إذا أنت غرزت والعود فيهما فجمعتهم.

الشك بمعنى التردد: ويأتي الشك بمعنى "التردد" كأن يتردد الإنسان بين شيئين دون أن يتيقن بأحدهما دون الآخر، وفي المصباح: (هو التردد بين شيئين سواء استوي طرفاهما أو رجح أحدهما على الآخر. [١]

وعلى كل حال فإن الشك: حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف، الشك بمعنى الالتباس: فيقال (شك في الأمر، يشك شكاً إذا التبس لعدم وضوح الأمر). [٢]

وهو الارتياب أيضا، ويستعمل الفعل لازما ومتعديا بالحرف، فيقال: شك الأمر يشك شكا إذا التبس، وشككت فيه، وقولهم خلاف اليقين يعني التردد بين شيئين سواء استوى طرفاه، أو رجح أحدهما على الآخر، قال الله تعالى: " فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك " [٣] أي غير مستيقن.

وقال ابن منظور: الشك نقيض اليقين، وجمعه شكوك، وهو الريب وقد شككت في كذا، وشك في الأمر يشك شكا وشككه فيه غيره. وتشكك في الأمر تشككا بمعنى شك.

---

[١] إبراهيم مصطفى؛ المعجم الوسيط ،ط١ ،مجمع للغة العربية ،ص٤٩٠.

[٣] سورة يونس من الآية ٩٤

وفي الحديث: "أنا أحق بالشك من إبراهيم"[١] لما نزل قوله تعالى: " [وإذْ قال إبراهيمُ رَبِّ أرِنِي كيف تُحْيِي الموتَى قال أوَلَمْ تؤمن قال بلى ولكِنْ لِيَطْمئِنَّ قَلبي] [٢]قال قوم سمِعُوا الآية: شَكَّ إبراهيم ولم يَشُكَّ نبيُّنا صلى الله عليه وسلم. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَواضُعاً منه وتَقْديما لإِبْراهيم على نَفْسه [أنا أحَقُّ بالشَّكِّ من إبراهيمِ] أي أناَ لم أشُكَّ وأنا دُونه فكيف يَشُكُّ هو.

وقال الفيروزابادي: والشك ربما كان في الشيء: هل هو موجود أو غير موجود؟ وربما كان في جنسه أي من أي جنس هو، وربما كان في بعض صفاته، وربما كان في الغرض الذي لأجله أوجد، والشك ضرب من الجهل، وهو أخص منه، لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا. وكل شك جهل، وليس كل جهل شكا.

مفهوم الشك اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الشك: هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك.

وذكر أيضاً في تعريفه أنه ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما [٣]

أما الإمام الجويني فذكر في تعريف الشك فحوى التعريفين السابقين

---

[١] ينظر سنن ابن ماجه المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني الناشر : دار الفكر - بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، باب الصبر على البلاء : ٢ / ١٣٥٢ .

[٢] سورة البقرة: ٢٦٠

[٣] التعريفات : تحقيق ابراهيم الابياري دار الكتاب العربي

وزاد عليها بقوله: الشك ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبنى عليه العاقل الأمور المعتبرة. [1]

وقال الكفوي: وقال بعضهم: الشك ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا، ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل الأمور المعتبرة.

ويتضح من خلال التعريفات السابقة أن البعض منها يتجه إلى وصف حال الإنسان الشاك والبعض الآخر يصف حال الأمر المشكوك فيه وجميعها تصفهما بالتردد والإبهام وغموض الجانب المعرفي بالنسبة للشاك أو للموضوع المشكوك فيه. وقد اتخذ مفهوم الشك بعداً كبيراً ومؤثراً في المجال المعرفي عموماً فتنوعت مجالاته ومفاهيمه وصارت له مدارس تتخذه منهجاً وطريقاً لأفكارها واعتقاداتها فصار مصطلح الشك أو الشكاك في المجال المعرفي والفلسفي له مدلوله الخاص الذي يميزه عن بقية المذاهب والاتجاهات الأخرى.

الفرق بين الشك والتيقن:

سبق أن عرفنا الشك أما عن تعريف التيقن فهو:

هو الإقرار بصحة موقف معين بعد التأكد من صواب الأدلة المدعمة لهذا الموقف.

---

[1] الشامل في أصول الدين ،١٦٥ (تحقيق : محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى

أيضا هناك فرق بينهما من خلال خصائص كل منهما فخصائص الشك هي:

١- توقف الشخص الشاك عن إصدار أحكامه بالقبول أو الرفض

٢- قدرة الشخص الشاك على الاختيار والانتقاء بين النقيضين لكنه يرفضهما معا وبدون هذه القدرة لا يعتبر الموقف شكاً بل عجزاً ٠

٣- إن الشك يعبر عن الحرية الذاتية للفرد لان للإنسان الشاك قدرة على الاختيار ولكنة يرفض الطرفين او النقيصين معا ٠

٤- الشك موقف عقلي واع واتجاه فلسفي يتخذه صاحبه بعد تفكير عميق وهو ليس جهلاً

أماعن خصائص اليقين فهي:

١-اليقين انحياز واضح وصريح لأحد أطراف المشكلة وترجيحه بالأدلة الكافية على غيره من الأطراف

٢-اليقين هو القدرة على الاختيار وعلى إثبات صحة أحد النقيضين والانحياز له بالأدلة والبراهين بمعنى أن اليقين يتسم بالحرية في الاختيار ٠

الفرق بين الشك والظن

سبق أن عرفنا الشك أما عن تعريف الظن فأقول:

جاء في دائرة المعارف الشيعية العامة أن الظن بالفتح وشد النون: التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم. والعمل بالظن في موضع الاشتباه عند بعض الفقهاء صحيح شرعاً (١)

وذكر صاحب الكليات أن الظن: هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم(٢) وقيل هو الأخذ بالطرف الراجح(٣) وذكر أبو هلال العسكري أن الظن ضرب من أفعال القلوب يحدث عند بعض الأمارات وهو رجحان أحد طرفي التجوز وإذا حدث عند أمارات غلبت وزادت بعض الزيادة فظن صاحبه بعض ما تقتضيه تلك الأمارات سمي ذلك غلبة الظن... وقال في مكان آخر "يجوز أن يقال: الظن قوة المعنى في النفس من غير بلوغ الثقة الثابتة(٤).

وعرّفه البغوي من المفسرين فقال: الظن من الأضداد يكون شكاً ويقيناً وأملاً، كالرجاء يكون خوفاً وأملاً وأمناً (٥).

---

[١] دائرة المعارف الشيعية العامة/ محمد حسين الأعلمي الحائري – يبروت مؤسسة الأعلمي ط ثانية سنة١٩٩٣ ج١١ ص٤٤٠.

[٢] الكليات ص٥٩٣ .

[٣] مجموع حدائق الحقائق/ لمؤلف مجهول، المطبعة الرسمية التونسية سنة ١٣٠٩ هجري ص ٣٥ .

[٤] الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، بيروت، دار الكتب العلمية سنة ١٩٨١، ص٧٨، ٧٩.

[٥] تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي ، ج١ ص٩٠.

وقال أبو السعود في سياق تفسيره لقوله تعالى: (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم...) [1]:

وذكر النووي في المجموع أن الشافعية يطلقون العلم واليقين ويريدون بها الظن الظاهر لا حقيقة العلم واليقين (٢) ونقل التهانوي تعريف الظن عند الفقهاء فقال: هو التردد بين أمرين استويا أو ترجح أحدهما على الآخر وأما عند المتكلمين فهو تجويز أمرين أحدهما أرجح من الآخر والمرجوح يسمى بالوهم(٣)

أنواع الشك

من خلال تعريفنا السابق لمفهوم الشك يكون قد اتضح لنا أن الشك ليس على صورة واحدة وليس على نوعية واحدة بل هو مختلف من ناحية منشأه ومنهجيته والنتائج التي يوصل إليها.

أولا: الشك المنهجي:.(٤)

وهو منهج يفرضه الباحث أو الفيلسوف بمحض إرادته لاختبار ما لديه من معارف ومعلومات محاولاً بذلك تطهير عقله من كل ما يحويه من أكاذيب ومغالطات، وتدريبه على تكوين ملكة النقد والتحليل من أجل

---

[1] سورة البقرة من الآية٤٦

[٢] المجموع شرح المهذب، محيي الدين بن شرف النووي ، القاهرة، المكتبة العالمية سنة١٩٧١ ج١ص٢٣٠.

[٣] موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية/ محمد أعلى بن علي التهانوي، بيروت شركة خياط للكتب والنشر ج ٤ ص٩٣٩. وانظر الأشباه والنظائر/ زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم، بيروت ، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٨٠، ص٧٣.

١) توفيق الطويل ؛ أسس الفلسفة، دار النهضة العربية القاهرة ،١٩٩٠،ص٣١٤.

مناقشة المبادئ الأولية السابقة للوصول إلى مبادئ أولية أخرى واضحة ومميزة بحيث يقيم عليها قضايا يقينية.

وفي الفكر الإسلامي كان للمعتزلة دور كبير في نشر وتأصيل هذا النوع من الشك فقد قال الجاحظ في ذلك: "اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلم الشك في المشكوك تعلماً ويمكن اعتبار الغزالي أعظم ممثل للشك المنهجي في الفكر لإسلامي وأكبر مؤسس لقواعده وأصوله حيث رأى أن الشك هو الذي يجعل الوصول إلى الحقيقة ممكناً، ويقول في ذلك: "الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال..(١)

وكذلك للأشاعرة دور يمثله الإمام الغزالي في أثناء شكه فقد مر بخطوات كان أهمها التشكيك في جميع المعارف التي تأتي عن طريق التقليد، خاصة التقليد في العقيدة وفي ذلك يقول: " وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلّتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت علي العقائد الموروثة على قرب عهد شرة الصبا؛ إذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر؛ وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام. وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه

١) توفيق الطويل ؛مصدر سبق ذكره ،ص٣١٥.

ويمجّسانه» [١] فتحرك باطني إلى حقيقة الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين، والتمييز بين هذه التقليدات، وأوائلها تلقينات، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات، فقلت في نفسي: إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور، فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي؛ فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي يكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا، لم يورث ذلك شكّا وإنكارا، فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة، فلو قال لي قائل: لا، بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها، وشاهدت ذلك منه، لم أشك بسببه في معرفتي، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه؛ فأما الشك فيما علمته فلا.

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني. (٢)

فالشك المنهجي، أو منهجية الشك، حق مكفول للإنسان من قبل الله، لا يجوز الحجر عليه، ولا يعتبر صاحبه خارجا علي نواميس الحق والكون، وهو ليس مخالفة عندما يقوم بها الفرد يحاسب عليها، ولو كان كذلك لما

---

[١] رواه مسلم ص ٢٨٩ صحيح . أخرجه البخاري : ١ / ٣٤١ و٣٤٨

(٢) مجموعة رسائل الإمام الغزالي للإمام الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: الأولى / ١٤١٦ صـ ٥٣٨ .

أجازه الله سبحانه وتعالي لأنبيائه، قال الله تعالي على لسان إبراهيم عليه السلام ''رب أرني كيف تحي الموتى، قال أولم تؤمن، قال بلي، ولكن ليطمئن قلبي'' وهذا الخطاب يقود إلي حقيقة هامة، هو أن الدليل والبرهان سيد الأحكام، وأقوي دعائم الحق.. فالوقف أو الرأي الصواب لا يخاف من البرهان للتدليل عليه، ولا يعيب أن يطلب تدعيمه بالبرهان والدليل.. ولكن الموقف الباطل هو الذي يفتقر إلي الدعم والدليل والبرهان، بالتالي يخاف من التدليل عليه بذلك.

القسم الثاني: الشك المذهبي:

وهو الشك الذي يتضمن استحالة المعرفة، وانعدام الثقة في أدواتها، ويكون في ذاته غاية لا وسيلة فيبدأ صاحبه شاكاً وينتهي شاكاً، وهو يتفادى الخلافات التي تثور بين العلماء والفلاسفة فيلجأ للأمان ويؤثر الترجيح أو الاحتمال أو التوقف عن إصدار الحكم وذلك حسب التوجه الفلسفي المنبثق منه هذا الشك. [1]

وهذا النوع من الشك يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين: –

القسم الأول: الشك الكلي:

وهو الشك الهادم المزموم الذي يكون الشك فيه عاماً شاملاً ويأتي على صورتين:

[1] انظر : أسس الفلسفة : توفيق الطويل : ٣٠٧

الصورة الأولى: الشك الكلي في المعرفة

: وهو الشك الذي ينكر كل صورة من صور المعرفة أو وسائلها، والمقصود بالمعرفة هنا المعرفة على أوسع معانيها دون مراعاة لنوعية العلم أو المعرفة التي يسعى المرء للحصول عليه ا، أي بدون مراعاة لما إذا كان هذا العلم المطلوب علماً مطلقاً قاطعاً بصورة واضحة أو علماً قابلاً للتصحيح يمكن تعويضه بعلم آخر إذا اقتضى الأمر[١]

الصورة الثانية: الشك الكلي في الحقيقة:

وهو الشك الذي لا ينكر إمكان معرفة الحقيقة وحسب بل ينكر الحقيقة ذاتها. ويمكن جعل " الشك في الحقيقة " على وجهين:

١ –إنكار وجود حقيقة موضوعية مستقلة عن اعترافنا

الشخصي وكل المحاولات التي بذلت حتى الآن لتوضيح مفهوم الحقيقة كانت محاولات قاصرة [٢]

القسم الثاني: الشك الجزئي:

وهو لا يتضمن إنكار المعرفة أو الحقيقة بإطلاقها أو بمعناها الكلي، بل هو يختص ببعض الصور والاتجاهات دون البعض الآخر. وهذا النوع من الشك يتطرق إلى إثبات جزء من الحقيقة ويكون من خلال إثباته

---

[١] انظر : مجلة الحكمة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، شوال ١٣٩٦ ه ، اكتوبر ، ١٩٧٦ م ، بحث بعنوان : الفلسفة ومشكلة الشك : محمود زقزوق صـ ١٣٤

[٢] انظر مجلة الحكمة مرجع سابق : ١٣٥

وتعصبه لهذا الجزء رافضاً ومشككاً في الجزء المقابل والمضاد لما أثبته. [١]

ويندرج تحت هذا العنوان صور من الشكوك يمكن الإشارة إلى أهم صورها وهي كالتالي:

الصورة الأولى: الشك في الغيب أو في ما وراء المحسوس:

وهذه الصورة من الشك تنفي وبكل بساطة كل شيء خارج عن نطاق المحسوس والمشاهد وتعتبر الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة، وكل معرفة جاءت من غيرها فهي مرفوضة وغير صحيحة، ويسمون كل شيء خارج عن نطاق الحس " ميتافيزيقا" ، [٢]

الصورة الثانية: الشك في الواقع الخارجي للأشياء:

وهذا النوع من الشك يستند إلى نظرية أن الحواس تخطئ باستمرار أو تكون غير سليمة في كثير من أحوالها وعلى هذا فلا يمكن الوثوق بها أو تأسيس معرفة يقينية مبنية على الحواس، ورتبوا على هذه المقدمة أمراً آخر ألا وهو أن المعطيات التي نأخذها من الحواس كاللون والحرارة والبرودة وغيرها هي مجرد إدراكات فقط ولا يستلزم من هذه الإدراكات وجود واقع خارجي مستقل لهذه الأشياء، فعندما يحس

[١] تمهيد للفلسفة : محمود زقزوق : ١٢٥

[٢] موقف من الميتافيزيقيا للدكتور :زكي نجيب محمود صـ ٧٨ ط.دار الشروق ١٩٨٠

الإنسان ببرودة شيء أو بحرارته فإنه لا يمكنه التيقن إلا بهذه البرودة أو هذه الحراره فقط [١]

ثالثا: الشك الاعتقادي:

وهذا النوع من الشك هو الذي يستهدف العقائد الدينية التي أخبر بها الله سبحانه وتعالى وجاء بها الوحي المنزل على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم.

والشاك في هذا النوع إما أن يتجه إلى إنكار الدين بذاته فيرفض الوحي جملة وينكر بعث الأنبياء والكتب المنزلة عليهم من السماء أو يكون شكه جزئياً في بعض الأحكام والاعتقادات التي تضمنتها الشرائع والديانات، فنجده ينكر الملائكة أو عذاب القبر أو يرد بعض النصوص النبوية الصحيحة ويجعل له حججاً وبراهين إما عقلية أو حسية ترد كل هذه الاعتقادات الصحيحة.

وهذا النوع من الشك يتخذ عدة صور يمكن الإشارة إليها هنا باختصار ومن أهم الصور ما يلي:

الصورة الأولى: الشك الذاتي في المعتقد:

وفي هذا الصورة يكون الشاك متشككاً في ذاته وفي اعتقاده الفردي حول هذه العقيدة فهو لم يصل إلى مرحلة الإنكار الكلي لها ولم يصل أيضا إلى مرحلة التسليم واليقين التام بهذه العقيدة فيبقى فيها حائراً متذبذباً لم يصل إلى نتيجة نهائية فيما يتعلق بالقبول أو الرفض لها فيؤثر الصمت

[١] النظرية المادية في المعرفة روجية جاروووي ، صـ ٧ ترجمة إبراهيم قريط ط دار دمشق للطباعة والنشر

حولها أو إيراد الحجج المتقابلة دون ترجيح أو إعلان الشك التام الصريح في هذه المسألة، وتتكافأ الأدلة لديه ولا يصل إلى معتقد واضح فيها. [1]

الصورة الثانية: تشكيك الناس في العقائد:

وهذه الصورة ينهجها أعداء الدين؛ وذلك أنهم في سعيهم للقضاء على الدين ومحاربتهم لأهله ورغبتهم الشديدة في زعزعة اليقين لدى أصحابه يلجأون للتشكيك في الدين ذاته وفي كل مصادره بداية من وجود الله سبحانه وتعالى ومروراً بالتشكيك في النبو ة والكتاب ونهاية ببعض العقائد الدينية الشرعية التي جاء بها الدين.

وهذه الصورة هي التي ينهجها الكفار والمشركون وأعداءالدين منذ عهد النبوة إلى عهدنا الحاضر فهم في الأصل منكرون للدين أو لبعض العقائد التي جاء بها، ولكنهم يشككون الناس ويحققون بهذه الوسيلة التشكيكية صرف الناس عن دينهم واعتقادهم وزعزعة مصادرهم الدينية الربانية.

الصورة الثالثة: الإنكار للدين أو بعض العقائد:.(٢)

وهذه الصورة هي الظاهرة فأصحابها لا يتش ككون بل ينكرون ولا يتوقفون بل يجزمون بالإنكار ويجاهرون به ونحن نضعهم في مصاف الشكاك لعدة اعتبارات يمكن إيجازها في النقاط التالية:

---

[1] ينظر الشك أسبابة وإثارة وعلاجه احمد إبراهيم محمد،رسالة ماجستير،جامعة أم القرى : عام ٢٠٠٧،ص٦٣

١) نفس المرجع ،ص٦٤.

* أن الملحد أو المنكر للاعتقادات الدينية يعارض أمراً صحيحاً فطرياً يجعلنا نجزم يقيناً بخطأه، وهو عندما ينكر كل هذه الأمور الفطرية الضرورية والتي هي في الواقع مملوكة لديه ونعني بها فطرية الإيمان بالله والمحسوسات والمعقولات وكل ما يتعلق بها من اعتقادات، فهو على هذا متذبذب بين ما وهب له من ضروريات وفطرة وبين إنكاره الصريح لها فيكون شاكاً بهذا الاعتبار

* أن المتتبع لأحوال هؤلاء المنكرين وخاصة لبعض العقائد الدينية يجدهم ينكرون أمراً معيناً ومن ثم يتناقضون فيثبتون نقيضاً لها مما يتساوى معه في مبرراته، ولأنهم لم يقيموا أسساً منهجية واضحة فكل هذا جعلهم يضطربون ويتحيرون، فلأجل ذلك

فهم في الأصل متشككين، وليس لديهم قناعة واضحة بما ينكرون.

* أن كثيراً من هذه الإنكارات جاءت عند فلاسفة مذهبهم العام هو الشك، ولكنهم في بعض الاعتقادات يجتهدون في نفيها نفياً مباشراً صريحاً لكي تخدم مذهبهم الشكي العام، سواء كان شاكاً كلياً أو جزئياً معيناً في نوع معين من المعرفة الإنسانية. [1]

الشك في القرآن والسنة

لقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تحدثت عن الشك من بين الآيات الواردة في "الشك" قول الله تعالى:

[1] ينظر الشك أسبابة وإثارة وعلاجه احمد إبراهيم محمد صـ ٦٤ وينظر منهج الشك للأستاذة /أيه هيثم خزعل أشراف الدكتور ماهر محمد عواد صـ ٢١ ، ٢٢.

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠)[1]

يقول الإمام فخر الدين الرازي: اعلم أن أولئك الكفار لما قالوا للرسل {وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ}، قالت رسلهم: وهل تشكون في الله، وفي كونه فاطر السموات والأرض وفاطراً لأنفسنا وأرواحنا وأرزاقنا وجميع مصالحنا وإنا لا ندعوكم إلا إلى عبادة هذا الإله المنعم ولا نمنعكم إلا عن عبادة غيره وهذه المعاني يشهد صريح العقل بصحتها، فكيف قلتم: وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب؟

وهذا النظم في غاية الحسن. وفي الآية مسائل نذكر منها:

المسألة الأولى: قوله: { أفي اللَّهِ شَكٌّ} استفهام على سبيل الإنكار، فلما ذكر هذا المعنى أردفه بالدلالة الدالة على وجود الصانع المختار، وهو قوله: { فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ } وقد ذكرنا في هذا الكتاب أن وجود السموات والأرض كيف يدل على احتياجه إلى الصانع المختار الحكيم مراراً وأطواراً فلا نعيدها ههنا.

المسألة الثانية: قال صاحب "الكشاف": أدخلت همزة الإنكار على الظرف، لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في أن وجود الله تعالى لا

[1] سورة إبراهيم :رقم ٩ ، ١٠

يحتمل الشك، وأقول من الناس من ذهب إلى أنه قبل الوقوف على الدلائل الدقيقة فالفطرة شاهدة بوجود الصانع المختار [١]

الأحاديث الواردة في " الشك"

كذلك ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة تحدثت عن الشك من بين الأحاديث الواردة في "الشك" ما جاء عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: « إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِى صَلاَتِهِ، فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلاَثًا أَمْ أَرْبَعًا؟ فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، فَإِنْ كَانَ هِىَ خَمْسًا كَانَتَا شَفْعًا، وَإِنْ صَلَّى تَمَامَ الأَرْبَعِ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ ». [٢]

ومن ذلك أيضا أن رجلا من بني فزارة قد ساورته الشكوك والهواجس فأنكر ولده لأن امرأته جاءت به أسود فعن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- جَاءَهُ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ: إِنَّ امرأتي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ فَقَالَ: « هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ». قَالَ: نَعَمْ قَالَ: « مَا أَلْوَانُهَا؟ ». قَالَ: حُمْرٌ قَالَ: « هَلْ فِيهَا أَوْرَقُ ». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: « بِمَ ذَاكَ؟ ». قَالَ: ذَاكَ عِرْقٌ نَزَعَهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: « فَلَعَلَّ ابْنَكَ نَزَعَهُ عِرْقٌ ». [٣]

---

[١] ينظر مفاتيح الغيب أو تفسير الفخر الرازي ـ للإمام فخر الدين الرازي : ط / دار إحياء التراث العربي: ١/ ٣٦٢٣

[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِى الصَّحِيحِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِى خَلَفٍ عَنْ مُوسَى بْنِ دَاوُدَ وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ :« إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِى صَلاَتِهِ فَلَمْ يَدْرِ اثْنَتَيْنِ صَلَّى أَوْ ثَلاَثًا ، فَلْيُلْقِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى الْيَقِينِ "

[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ أَبِى أُوَيْسٍ وَغَيْرِهِ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ أَوْجُهٍ أُخَرَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ.

ويعلق على ذلك الإمام الأشعري على هذا الحديث فيقول: فهذا ما علم الله نبيه من رد الشئ إلى شكله ونظيره وهو أصل لنا في سائر ما نحكم به من الشبيه والنظير(١).

(١) راجع رسالة الأشعرى، استحسان الخوض فى علم الكلام

المبحث الثاني:

الشك في الفكر اليوناني القديم:

إن أول ظهور للفكر الفلسفي، بشكل كامل، كان مع الفيلسوف اليوناني فيثاغورس، حيث تساءل كغيره من الفلاسفة والحكماء، عن ماهية الوجود وما يحيط به من موجودات علوية وسفلية؛ هل هذا الوجود هو مادي، أم هوائي، أم أنه شيء آخر؟. ومما يروى عن فيثاغورس، أنه قال، عن الفلاسفة، أنهم ذلك النفر الذي " يذمّ شهوات الدنيا ويتلفت بكل قواه العقلية لمعرفة حقيقة الطبيعة وأسرار الكون "

عرفت الفلسفة اليونانية شكاً من نوع آخر، وهو شك السفسطائيين الذين زرعوا الشك في كل شيء، " وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء وبإيراد الحجج الواهية... في مختلف الأمور والمواقف "

إن الأصل الحقيقي لمعنى كلمة سوفسطائي هو المعلم أو معلم الخطابة حيث ظهرت السوفسطائية في النصف الأخير من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، على يدي مجموعة من المعلمين الذين استغلوا الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر من الحضارة اليونانية، ومن أهم مبادئهم اعتبار الحواس وسيلة للمعرفة وليس العقل، فالمعرفة عندهم نسبية تختلف من شخص لأخر وليس هناك حقيقة ثابتة.

وليست هناك قضايا عامة تتساوى العقول في إدراكها فالإنسان وحده هو مقياس كل شيء، فما يراه حقاً فهو حق بالنسبة إليه، وما يراه باطلاً فهو باطل بالنسبة إليه. وهكذا هدم السوفسطائيون قواعد الأخلاق،

وأنكروا الآلهة بالإضافة إلى إنكارهم حقائق الأشياء، وقالوا لا وجود لها إلا في الخيال، وهكذا صار الأمر فوضى وأصبح الناس أحزاباً متفرقة في آرائها. (١).

وأهمّ ما يميز الفكر السوفسطائي أنهم كانوا يعلمون النّاس بالأجر، يلقون الدروس للأغنياء مقابل أجراً زهيداً، وللعامة بمبلغ أقل، وكانوا ينتقلون من مدينة إلى أخرى، ولهم قدرة فائقة في جلب التلاميذ، الذين يصطحبونهم أحيانا في تنقلاتهم، ولمّا كانت الخطابة من أهم العلوم التي تهيئ الإنسان للنجاح السياسي فقد اختص السوفسطائيون بتعليمها للشباب الأثيني الراغب في الوصول إلى السلطة والمشاركة في السياسة.

ذهب السوفسطائيون إلى تعليم الناس موضوعات متفرقة لا تربطها فكرة، ولا يجمعها طابع مميز أو كيان معين، لقد اختص كل سوفسطائي بعمل معين اشتهر به، وكرّس حياته ونفسه له، فمثلاً: بروتاجوراس: خصص نفسه لتعليم قواعد النجاح في الأمور السياسية، والوصول عن طريقها إلى أرقى المناصب. وجورجياس خصص حياته لتعليم البلاغة وعلم السياسة، و"بروديكوروس" لتعليم قواعد النحو والصرف، والفيلسوف هبياس كان يعلم التاريخ والرياضة والطبيعة.

---

[١]- انظر في الفلسفة الإسلامية:د. محمد السيد نعيم ص-٤٠-٤١.

اعتمد السوفسطائيون فى شكهم على مبدأين

المبدأ الأول: الحواس وسيلة المعرفة وليس العقل.

يرى السوفسطائيون أنه لما كانت الحواس متغيرة من شخص لآخر فإن الإنسان لن يجد حقيقة واحدة ثابتة ولا يوجد معيار عام للصواب والخطأ وتصبح الحقائق والمعايير كلها نسبية متغيرة.

المبدأ الثانى: الاعتماد على مبدأ التناقض:

اثبات الشيء ونقيضه فى الوقت معتمدين على المغالطة والمجادلة والتلاعب بالألفاظ.

ومع ذلك أقول إن لكل واحد من السوفسطائين شخصية خاصة به، وهناك من يشتركون في بعض الخصائص الفكرية، وتحتل الخطابة مكانا رئيسا في نشاطهم حيث يقتصر هدفهم على تكوين المواطن وهو هدف عملي ولعل أبرز من يمثل هذه النزعة مايلي:

أشهر فلاسفة الفكر السوفسطائي:

١-بروتاجوارس:

لقد شك بروتاجوارس في الدين الوثني الذي كان سائدا في عصره وألف كتابا بعنوان " الحقيقة" شكك في وجود الآلهة، اعتبر الإنسان مقياس الأشياء جميعاً، ولكون أفراد الناس كثيرين فإنّ إحساسات الناس متعددة ومتناقضة أحيانا، والحواس هي وسيلة الإدراك الوحيدة ومالا يدرك بها فليس موجوداً.

ثم رأى فيه أنه لا يعرف إن كانت الآلهة موجودة أم غير موجودة فكان شكه حول إمكانية معرفة [١]

جاء في أول كتابه: " لا أستطيع أن أعلم إن كانت الآلهة موجودة أم غير موجودة، فإنّ أموراً كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم، أخصها غموض المسألة وقصر الحياة" ، (٢)

اعتبر بروتاجوراس أن المعرفة الإنسانية غير يقينية وقال عبارته المشهورة (الإنسان مقياس كل شئ) فهو مقياس أن الأشياء الموجودة موجودة والأشياء الغير موجودة غير موجودة. وهو يقصد بالإنسان هنا الكائن الفرد الذى يدرك العالم بواسطة حواسه وليس بعد، وما دام أن افراد الإنسانية يختلفون فيما بينهم من حيث الحواس والعقل وكل شئ تقريباً فلن تكون هناك حقيقة واحدة مطلقة ولا يوجد معيار عام للصدق وبذلك تكون الحقيقة نسبية.

اتُهم بروتاجوراس بالإلحاد، وحكم عليه بالإعدام، وأحرقت كتبه علناً، ففر هارباً، ومات غرقا أثناء فراره سنة ٤١٠ ق. م(٣)

٢ – أما عن جورجياس: ٣٧٥ ٤٨٠ (ق م)

---

[١] عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ط ٢ - ، جامعة الكويت، النشر العلمي ،٢٠٠٣ : ص. ٧٨

[٢]- انظر الفلسفة اليونانية د. بيصار ص ٧٢ ، دراسات في الفلسفة: د. عبد الفتاح أحمد الفاوي ص ٥٢.

[٣]- انظر نفس المرجع ٥٢.

يعتبر جورجياس من أشهر السوفسطائيين القدامى وأكثرهم جدلا وشكا، وأكثر من نظر للوجود والمعرفة وما يتعلق بها، وتتلخص فلسفته في قضاياه الثلاث حول نفي الوجود، وفيها يبرز تطرفه وجدله وقد ضمنها في كتابه(االلاوجود)وهي كالتالي:

القضية الأولى: لا يوجد شيء، فالموجود غير موجود واللاوجود كذلك، وهذا الوجود إما أن يكون قديما أو حديثا.

القضية الثانية: إذا وجد شيء لا يمكن لنا معرفته أو إدراكه أي أن المعارف التي يجب إدراكها يجب أن تكون مطابقة للوجود وهذا الذي لا يمكن لنا أن نتوصل إليه لأن في أغلب الأحيان،

القضية الثالثة: إذا فرضنا أن تمكنا من الإدراك والمعرفة إلا أننا رغم الإدراك لا يمكن لنا أن تنقله إلى الغير، ويبرر موقفه إلى أن وسيلة التفاهم بين الناس هي اللغة باعتبارها أداة تواصل بين الأفراد والجماعات فنحن ننقل من خلالها الألفاظ ولا ننقل لهم الأشياء فاللغة والوجود دائرتان مختلفان متخارجتان.

وهكذا يهدف الشك السوفسطائى إلى الكسب المالى وذلك بعد تزييف الحقيقة والتشكيك فيها من خلال تبرئة المهتمين فى المحاكم. التسلية والسخرية وإظهار المهارة اللغوية أمام الناس. إثبات أن العقل البشرى عاجز عن إدراك الحقيقة المطلقة.

هكذا يظهر دور الشك في تعدد الآراء والمذاهب. فالشك بما هو قائم يعني إمكانية وجود شيء آخر غير قائم. والشك بالمبادئ الأخلاقية والقوانين السياسية يعني إمكانية وجود آراء وأفكار أخرى، غير موجودة،

والشك بهذا المعنى يعني عدم الوثوق، وعدم الاقتناع النهائي بما هو قائم، بهدف فسح المجال للفكر ليفتش عن أفكار أخرى قد تكون صحيحة.

فرق السفسطائية:

اتفق الفلاسفة على تقسيم الشكّاك إلى ثلاث فئات تجمع الشكّاك والمغالطين (السوفسطائيين) في جانب واحد وهم بحسب هذا التقسيم ثلاث فرق هي: -

١ - **اللا أدرية:** وهؤلاء يشكون في كل شيء حتى في شكهم، وسمّوا بذلك لأن ردهم على كل سؤال (لا أدري) بل من مغالطاتهم قولهم (أنا لا أدري ولا أدري أنني لا أدري) أو (أنا أشك وأشك في أنني أشك) وهم يشكون في قدرة الحواس والعقل على الوصول إلى المعرفة الحقة، ولأن بلوغ اليقين في أي أمر محال عندهم فهم يدعون إلى تعليق الحكم على الأشياء ووقفها، وعدم المبالاة بأي شيء لأن ذلك - عندهم - هو السبيل إلى طمأنينة النفس.

٢- **العنادية**: والتسمية مأخوذة من معاندتهم في إنكار الوجود وحقائقه، وعدّ المعرفة محض أوهام وضلالات، فهم ينكرون حتى البديهيات، نشأ مذهبهم من الإشكالات المتعارضة، إذ ما من قضايا بديهية أو نظرية إلا ولها معارضة مثلها في القوة تقاومها. ومن العجيب أنهم يشكون بحزم ويقين يناقضان الشك.

٣-**العندية**: وسموا بذلك لأنهم يرون أن الحقائق حق عند من عنده حق، وهي باطل عند من عنده باطل، وأن مذهب كل قوم حق بالقياس

إليهم، وباطل بالقياس إلى خصومهم، وقد يكون طرفا النقيضين حقاً بالقياس إلى شخصين، وليس في نفس الأمر شيء بحق. (١)

موقف سقراط (٢)من الفكر السوفسطائي:

كان سقراط، حكيما فاضلاً، زاهداً، امتاز بسرعة الفهم وحدة الذهن، حضور البديهة والبراعة في إخفاء سخريته، وطبع بمزيج غريب من التحكم في النفس، والمهارة والحماس وبراعته في المناقشات، والدقة في كشف خداع الناس له. (٣)

١- الفصل في الملل والأهواء والنحل:ابن حزم الظاهري١/ ٧- ٨.

(٢) ولد سقراط في أثينا حوالي ٤٧٠ ق .م، كان والده يشتغل في صناعة التماثيل، وأمه كانت قابلة، اشتغل سقراط في صباه بصناعة والده، ثم توجه إلى الفكر الذي أغرم به، واشتغل بالجدل والحوار، وإثارة المشاكل الفكرية،والشكوك في نفوس الناس حول القضايا التي أثارها السوفسطائيون ، صفاته الجسدية: كان سقراط قبيح المنظر، قصير القامة، بدين الجسم، بارز العينين، أفطس الأنف، واسع الفم، بالي الثياب. لقد ذاع صيت سقراط، واشتهر أمره في زمانه، ورغم ذلك تألب الناس عليه لأنّه نهى الرؤساء في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان، فاتهموه بالإلحاد وإنكار آلهة اليونان، والدعوة إلى آلهة جدد، وإفساد عقول الشباب، نتيجة ذلك قُدِم للمحاكمة، فحكم عليه بالإعدام، ويقال أنّ إعدامه تم بسقايته السم في شراب يحبه، وقد تجرّع الكأس راضياً مبتسماً، هلك وعمره ما بين السبعين والرابعة والسبعين سنة ٣٩٩ ق. م انظر الملل والنحل للشهرستاني ٣/ ١٤١ ، في الفلسفة الإسلامية : محمد السيد نعيم ص٤٤ .

٣ - انظر الملل والنحل للشهرستاني ٣/ ١٤١ ، الفلسفة اليونانية: د. بيصار ص ٧٧- ٧٨ ، وانظر أيضاً: في الفلسفة الإسلامية: د.محمد السيد نعيم ص٤٣.

استخدم سقراط نفس سلاح السوفسطائيين وهو الجدل ويتكون من جانبين هما:

١-التهكم السقراطي: بناه على تصنع الجهل، والتظاهر بالتسليم لوجهة نظر الخصوم، ثمّ الانتقال إلى إثارة الشكوك حولها، ثم يستخلص من آراء الخصوم لوازم لا يستطيعون الالتزام بها لكونها متناقضة مع آرائهم ومعتقداتهم وبذلك يوقعهم في الحرج والتناقض. وكان قصد سقراط من هذا تنقية أذهان الناس من المعلومات الفاسدة، وتطهيرها من القضايا الكاذبة والمعارف الخاطئة التي ورثوها عن السوفسطائيين. (١)

وهكذا استخدم سقراط مبدأ التهكم: أي (السخرية) التي تعبر عن موقف سقراط من جهل السوفسطائيين حيث كانت تتعارض وتتناقض آرائهم فكان سقراط يدعى أنه يبحث عن الحقيقة ولا يعرفها، بينما كان يدعى السوفسطائيين معرفتهم بالحقيقة وهم جاهلون لها.

٢-التولد: (٢) أي تولد الحقيقة من نفوس الخصوم، من خلال استنباطها عن طريق توجيه الأسئلة إليهم في نسق منطقي وترتيب فكري،

---

[١]- الفلسفة اليونانية :بيصار ص٧٩.

[٢] التوليد: هو استخراج الأفكار من العقول عن طريق تحليل الألفاظ وردها إلى معانيها الحقيقية الأصلية دون مغالطة أو خديعة من أجل الوصول إلى الحقيقة عرفه الإمام الأشعري فقال هو:(الفعل الذي يكون بسبب مني ويحل في غيري). مقالات الإسلاميين للإمام للأشعري تحقيق هلموت ريتر جـ١ ص ٤٠٨ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط ٣ وانظر : المحيط بالتكليف : القاضي عبد الجبار ص ٣٨٠ - ٣٨١ أما عضد الدين الإيجي

(١) ولم يكن حواره ينتهي إلى نتيجة معينة، وإنما كان القصد منه تنبيه الأذهان إلى ضرورة التزام الدقة في اختيار الألفاظ وإلى أن المعاني الموجودة في النفس، ولا سبيل إلى استخراجها إلا بالحوار. (٢)

إن فلسفة سقراط كانت لا تخرج عن أمرين:

فقد عرفه بقوله : (أن يوجب فعل لفاعله فعلا آخر نحو حركة اليد والمفتاح ، فإن الأولى منهما أوجبت لفاعلها الثانية ، سواء قصدها أو لم يقصدها) المواقف ص ٢١٦ ، عالم الكتب ، بيروت.

وقول الإيجي بالواجب يستبعد الاختيار الذي يتعلق بفاعل المتولدات ، إذ أن الواجب ينطوي علي الضرورة تبعا لطبيعة الحركات والأفعال الصادرة ولا مدخل للفاعل فيها أما تسويته بين القصد وعدمه في المتولدات فذلك مخالف لما ذهب إليه المعتزلة ، وهو موقف طبيعي من الإيجي ، خصوصا وأن فكرة الواجب التي أدخلها في التعريف لا تفتقر إلي قصد أو عدمه فالأمر سواء. ويعرفه الجرجاني أيضا بقوله : (هو أن يحصل الفعل عن فاعله بتوسط فعل آخر كحركة المفتاح في حركة اليد) التعريفات للجرجاني ، تحقيق إبراهيم الإبياري ص ٦٨ . ويعرفه الإمام الآمدي فيقول: والمتولد ،الفعل الواقع من فعل آخر لفاعله بخلاف الفعل المباشر، فإنه غير واقع لفعل آخر للفاعل ، بل بالقدرة ، والقدرة ليست فعلا للقادر بها ينظرإبكار الأفكار للإمام الآمدي تحقيق أد/أحمد المهدي ط/دار الكتب المصرية جـ٢صـ، ٤٢٩ ،أما التهانوي فقد عرفه بأنه: الفعل الصادر من الفاعل بواسطة ، ويقابله المباشر..: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م. جـ١صـ٥٣٤.

[١]- الفلسفة اليونانية :بيصار ص ٧٩ ، وراجع في الفلسفة الإسلامية: د. محمد السيد نعيم ص ٤٨.

[٢]- دراسات في الفلسفة: د.الفاوي، ص ٥٦.

الأول: تحديده لمنهج المعرفة لما يترتب عليه من تحول كبير في موضوع الفلسفة منهجها في تاريخ الفكر اليوناني.

الثاني: تحديده لمفهوم الفضيلة لما يترتب عليها من وجهة نظره الأخلاقية.

لقد كان السوفسطائيون يرون أن المعرفة مقصورة على الإحساس، وهي لذلك تختلف باختلاف الأشخاص، فما يراه الشخص حقاً فهو عنده حق، وإن رآه الآخرون بخلافه، لأنّ الإحساسات تختلف باختلاف الناس. فلمّا جاء سقراط أنكر قولهم في المعرفة، وأثبت أنّ العلم إنما هو في المدركات العقلية، وأن المعرفة تتكون من حقائق كلية، يستخلصها العقل -لا الحوا س- من الجزئيات المتغيرة، ولمّا كان العقل عنصراً مشتركاً لزم أن تكون الحقيقة عند شخص معين هي نفسها الحقيقة عند شخص آخر، وهكذا. (١)

[١]- انظر الفلسفة اليونانية:د.بيصار ص٩٣.

المدرسة الفيرونية: [١]

وهذه المدرسة تنكر إمكان معرفة طبيعة الأشياء، وترى أن المعرفة الحسية والعقلية ليس لها قدرة تعريفنا بالحقيقة وإيصالنا إليها، فنحن لا ندرك من الأشياء إلا ما (يبدو) لنا. وكأن الأشياء خارج الذات المدركة محض مظهر، أما إدراك طبيعة ذوات الأشياء فلا سبيل إليه. (٢) ذلك لأن المعرفة - في رأي هذه المدرسة - تتأسس على الإدراك الحسي، والحواس خادعة لا تقود إلى معرفة يقينية؛ وحتى النظر العقلي - عند الفيرونيين - يتأسس على الحس فمعرفته حسية غير مباشرة ومن ثمّ يكون أولى أن ينطبق عليه ما ينطبق على الحس من حيث عدم يقينية المعرفة.

وخلاصة ما يمكن أن يصل إليه الفيلسوف أو المفكر برأي هذه المدرسة هو أن كل ما يحصّله من معارف إنما هو ظني غير يقيني، وإذا كانت غاية الفلسفة في جميع مذاهبها هي الوصول إلى حقيقة يقينية تطمئن إليها النفس؛ ولما كان هذا اليقين غير متحقق عند الفيرونيين؛ لذا فهم يرون أن على الإنسان أن يتوقف عن إصدار أي حكم ومن ثمّ يصوم عن الكلام مطلقاً، ولما كان هذا الوضع مستحيلاً على الإنسان العاقل؛ فيتنازل

(١) فيرون (Pyrrhon) وردت ترجمته بلفظ (فورون) و(بيرون) وهو فيلسوف يوناني عاش في الفترة (٣٦٥ - ٢٧٥ ق. م)، ولد بمدينة إيليس وإليها نسب (فيرون الإيليسي) رافق الإسكندر في إحدى رحلاته إلى الهند وأعجب بفقرائها. ولكن لم يثبت تأثره بفلاسفتها، عاد إلى اليونان فأسس مدرسة أو ما يشبه المدرسة وأسس مذهب الشك المطلق وتتلمذ عليه أستاذ أبيقور صاحب المذهب الأبيقوري. أنظر بدوي، موسوعة الفلسفة ١٦/٢ - ١٧.

(٢) انظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٦/٢ - ١٧، وأيضاً الطويل، أسس الفلسفة، ص٣٠٥، وأحمد البهادلي، محاضرات في العقيدة الإسلامية، ص٨٨.

الفيرونيون قليلاً ويؤمنون بأن الأفعال الضرورية لا تحتاج إلى معرفة يقينية بل يستطيع الإنسان للضرورة العملية أن يلجأ إلى هذه المعارف الظنية. (١)

مدرسة الأكاديمية الجديدة:

على جانب هذه المدرسة ظهرت مدرسة أخرى عرفت بالأكاديمية الجديدة أو ما يسمى بمذهب الاحتمال، ظهرت هذه المدرسة في منتصف القرن الأول ق م ويعتبر أرفاسيلاس: ٣١٦، ٢٤١ ق م، هو أول من قال بالاحتمال، الذي كان متمكنا وبارعا في الخطابة والجدل، وسلط اهتمامه على منازلة " زينون الإيلي" وأصحابه وهاجم نظرية الفكرة الحقيقية، فأنكر أن التصديق يجب أن يكون على قضية وليس على فكرة، وجاء" قرنيادس" الذي جادل الرواقيين على الخصوص، حيث وجه نقده إلى العقل والحواس والعرف وقال بالاحتمال والترجيح، ووضع لذلك ثلاثة شروط:

الشرط الأول: هو الانتباه فكلما انتبهنا إلى التصورات وضحت لنا مع احتفاظنا برأينا.

والشرط الثاني: يتمثل في عدم تناقض التصورات.

والشرط الثالث: هو امتحان التصورات في جميع تفاصيلها، وهذه الشروط ما هي إلا محك للتصورات فقط والاحتمال المسند إليها معادل عمليا للحقيقة ممتنعة الإدراك

(١) انظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٨/٢.

هذه المدرسة الفلسفية حملت اسم أكاديمية أفلاطون وجدّدت ذكرها بالرغم من اتجاهها نحو الشك المطلق مبتعدة عن الأفكار التوجيهية الرئيسة لأفلاطون(١) الذي عرف بتصديه لإنكار السفسطائيين.

وهذه الأكاديمية عاصرت مدرسة فيرون والمدرستين الأيبقورية(٢) والرواقية(١) وأشهر فلاسفة هذه الأكاديمية هما: أرسيزيلاس(٢) وكرنيادس(٣).

(١) أفلاطون: فليسوف يوناني ولد في أثينا عام ٤٢٨ ق. م تقريباً وينحدر أفلاطون من عائلة غنية ذات مال وجاه وكانت لها اليد الطولى في حكم أثينا وقيل إنه لقب بهذا الاسم (أفلاطون) لعرض جبهته وقال آخرون لعلمه الواسع، وقد تتلمذ على يد أستاذه سقراط وهو في عمر يناهز العشرين وقد قام أفلاطون برحلات كثيرة طاف فيها بلدان كثيرة منها مصر وقورنيا وكان بارعاً في الموسيقى والرياضة واسع الخيال. أسس في أثينا مدرسة عظيمة عرفت باسم الأكاديمية، قال بنظرية المثل في المعرفة وبأن المعرفة تذكر والجهل نسيان وبأن العقل هو أساس المعرفة، توفي عام ٣٤٧ أو ٣٤٨ ق. م. انظر في ترجمته وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية - ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان - ط/١ - ١٩٧٨م - ص١١٢ - ١١٣ وانظر محمد عبد الرحمن مرحبا - مع الفلسفة اليونانية - منشورات عويدات - بيروت - لبنان - ط/٣ - ١٩٨٣م، ص١٢٢. وانظر د. محمد رضا عبد الفتاح - الديالكتيك والحب عند أفلاطون (ضمن مشكلات فلسفية) - منشأة المعارف بالإسكندرية - ط/١ - ١٩٩٩م، ص٢٩١، وانظر الموسوعة العربية الميسرة، ص١٨١، وانظر تراث الإنسانية، دار الرشاد الحديثة،= =القاهرة، بدون تاريخ للطبع ولا عدد، الجزء الثالث، " جمهورية أفلاطون "، للدكتورة أميرة حلمي مطر، ص٢٨٤.

(٢) الأبيقورية: هي المدرسة المنسوبة إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور، ومذهب هذه المدرسة يقوم على إسعاد الذات بلذات معنوية لا يعقبها ألم، أما في اللّغة الجارية فإن الأبيقوري هو

وقد قام أرسيزيلاس بالتنقيب عن الشك في فلسفات الآخرين ليؤكد أن جميع الفلاسفة قد مالوا إلى الشك وأخذوا به، فنسب الشك إلى سقراط(٤)وأفلاطون وأرسطو(٥)

الرجل الذي يحب التمتع باللّذات والخيرات ويكون حاذقاً في اختيار لذاته دقيقاً في معرفة قيمتها. انظر د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ٣٤/١ وانظر طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص٤٠ – ٤٢.

(١) الرّواقية: في الفرنسية stoicisme وفي الإنجليزية Stoicism: وهي المدرسة التي تنسب إلى زينون (Zenon) الكتيومي وكليانت Cleanthe وسنكا وأبكتاتوس وغيرهم من فلاسفة اليونان والرومان، وقد سمّوا بالرواقيين لأن زينون الفيلسوف صاحب هذا المذهب كان يعلّم تلاميذه في رواق. والمدرسة الرواقية ترى أن السعادة في الفضيلة وأن الحكيم لا يبالي بما تنفعل به نفسه من لذة وألم، حتى أن عدم مبالاته بالألم قد يبلغ درجة النفي والإنكار، وهم يرون أن المادة تتجزأ إلى غير نهاية، وأن النار أصل الوجود. انظر د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ٦٢٢/١ – ٦٢٣.

(٢) أرسيزيلاس (Arcesilaus) ويترجم أيضاً (أركسيلاوس) و(أرسيزيلاش)، فيلسوف يوناني عاش في الفترة (٣١٦ – ٢٤١ ق. م) وهو مؤسس الأكاديمية الأفلاطونية في طورها الثاني (الأكاديمية الجديدة) اشتهر بمساجلاته ضد المدرسة الرواقية. (انظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ص١٨)، وأيضاً (الطويل، أسس الفلسفة، ص٣٠٤) و(البهادلي، محاضرات في العقيدة الإسلامية، ص٨٨).

(٣) كرنيادس ((Carnedades وترجم أيضاً (كارناد) عاش في الفترة (٢١٤ – ١٢٩ ق. م) تزعم الأكاديمية الجديدة في طورها الثالث، وساجل (الأبيقوريين). انظر: بدوي، الموسوعة الفلسفية، ص٢٠، وأسس الفلسفة، ص٣٠٤، ومحاضرات في العقيدة الإسلامية، ص٨٨.

(٤) سقراط: فليسوف يوناني عاش فيما بين (٤٦٩ – ٣٩٩ ق. م) لم يترك سقراط كتابات خاصة به، وحسب إفادات أرسطو عنه أنه شغل نفسه بمكارم الأخلاق وأنه أول من أثار مشكلة التعريف والبحث عن الماهية والاستدلال القياسي والأدلة الاستقرائية، دافع سقراط عن العقل ورد على السفسطائيين، حكم عليه بالإعدام بتهمة إفساد الشباب وعدم اعتقاده في آلهة المدينة. انظر في ترجمته طرابيشي، معجم الفلاسفة،= =ص٣٦٥ – ٣٦٧. وانظر الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٢٥٦ – ٢٦٢. وانظر عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٨٤م، ٥٧٦/١ – ٥٧٩.

(٥) أرسطو فيلسوف يوناني تتلمذ على يد أفلاطون ولكنه خالف أستاذه فلم يتبع الفلسفة المثالية وإنما أسس الفلسفة الواقعية، يعد من أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني، وهو أول من دون

والعديد من الطبيعيين الأقدمين. (١)

وأكثر ما تجلى موقف الأكاديمية من قضية المعرفة في نقدهم للرواقيين والأبيقوريين الذين مثلوا جانباً من الفلسفة الإعتقادية في ذلك الوقت، " فأرسيزيلاس " مثلاً ينكر النوع الوحيد من المعرفة الذي يقول به الرواقيون وهو المعرفة الحسية استناداً إلى خداع الحواس، وأن الإدراك بها لا يوصل إلى الحقائق اليقينية، وثار الخلاف في ما رمى إليه من ذلك، هل كان نقد المعرفة الحسية، وتفضيل المعرفة النظرية تأييداً لأقوال المؤسس الأول للأكاديمية (أفلاطون)؟، أم أنه ينتقد إمكان المعرفة مطلقاً؟ حيث إنه يثبت أن الحس هو سبيل المعرفة الوحيد كما يزعم الرواقيون أولاً ثم يوجه سهامه إلى هذا المصدر الوحيد مزعزعاً الثقة في يقينية المعرفة. (٢)

ويتفق أرسيزيلاس مع فيرون بأن انتفاء المعرفة اليقينية لا يلغي الحركة والعمل، وإنما يمكن تأسيس العمل على هذه المعرفة الظنية، بل يرى العمل سابقاً للفكرة فالإنسان يسعى ويتحرك، ثم يقيِّم مدى معقولية عمله.

علم المنطق وكان له أثره في العصور التي لحقته، ولد سنة ٣٨٤ ق. م وتوفي سنة ٣٢٢ ق.م انظر William GH. Freeman, Physical Education in a changing society U.S.A. ١٩٧٧ pp ١٣٤. وانظر الموسوعة العربية الميسرة، ص١١٧. وانظر جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط/٢، ١٩٩٧م، ص٥٢ – ٥٧. وانظر د. عبد الحليم منتصر – تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط/٦ – ١٩٧٥م، ص٣١ وما بعدها.

(١) انظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٩/١.

(٢) انظر: بدوي، موسوعة الفلسفة ١٩/١.

ثم جاء كرنيادس امتداداً لأكاديمية أرسيزيلاس، وكما جعل الأخير همّه محاربة الرواقيين كذلك جعل كرنيادس من محاربة الأبيقوريين أولى واجباته، فكرنيادس ينكر الإدراك الحسي والنظر العقلي، ولكن أضاف مفهوم معيار الحقيقة حيث يقاس التيقن بقياس التصور إلى الذات المدركة، وليس إلى ذوات الموضوع الخارجي حيث لا ندرك حقيقة الموضوع الخارجي في ذاته. وأيضاً مفهوم تدرج الحقائق أو التيقن، ويقرّ فيه بأن اليقين ليس على درجة واحدة وأن الانتقال من اليقين إلى الجهل، ومن الجهل إلى اليقين يتم بطريقة تدريجية. (١)

(١) المصدر نفسه، ١/٢٠ - ٢١.

أهم المصادر والمراجع

* أبي حسين أحمد بن فارس بن زكرياء، (معجم مقاييس اللغة، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر– و التوزيع

* محمود الطناحي وطاهر الزواري؛ النهاية في غريب الحديث، دار إحياء للكتب العربية، مصر، ط١، ١٩٩٣.

* إبراهيم مصطفى؛ المعجم الوسيط، ط١، مجمع للغة العربية،.

* سنن ابن ماجه المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني الناشر: دار الفكر - بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(١) سورة البقرة: ٢٦٠

* التعريفات: تحقيق ابراهيم الابياري دار الكتاب العربي

*الشامل في أصول الدين، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى

* دائرة المعارف الشيعية العامة/ محمد حسين الأعلمي الحائري – يبروت مؤسسة الأعلمي ط ثانية سنة١٩٩٣.

* مجموع حدائق الحقائق/ لمؤلف مجهول، المطبعة الرسمية التونسية سنة ١٣٠٩ هجري.

* الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، بيروت، دار الكتب العلمية سنة ١٩٨١.

* تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، ج١ ص٩٠.

* المجموع شرح المهذب، محيي الدين بن شرف النووي، القاهرة، المكتبة العالمية سنة١٩٧١.

* موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية/ محمد أعلى بن علي التهانوي، بيروت شركة خياط للكتب والنشر.

* الأشباه والنظائر/ زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٨٠،

* توفيق الطويل؛ أسس الفلسفة، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٩٠، ص٣١٤.

* انظر: مجلة الحكمة، العدد الأول، السنة الأولى، شوال ١٣٩٦ ه، اكتوبر، ١٩٧٦ م، بحث بعنوان: الفلسفة ومشكلة الشك: محمود زقزوق.

* تمهيد للفلسفة: محمود زقزوق: ط دار الفكر العربي

*موقف من الميتافيزيقيا للدكتور: زكي نجيب محمود ط. دار الشروق ١٩٨٠

*النظرية المادية في المعرفة روجية جاروووي، ترجمة إبراهيم قريط ط دار دمشق للطباعة والنشر

* الشك أسبابة وإثارة وعلاجه احمد إبراهيم محمد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى: عام ٢٠٠٧،

* ينظر مفاتيح الغيب أو تفسير الفخر الرازي ـ للإمام فخر الدين الرازي: ط / دار إحياء التراث العربي:

* رسالة الأشعرى، استحسان الخوض فى علم الكلام للأما الأشعري

* في الفلسفة الإسلامية: د. محمد السيد نعيم.

* عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ط٢ – ، جامعة الكويت، النشر العلمي، ٢٠٠٣.

*الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الظاهري. ١/ ٧– ٨

* الملل والنحل للشهرستاني/

* المحيط بالتكليف: القاضي عبد الجبار.

* التعريفات للجرجاني، تحقيق إبراهيم الإبياري ص ٦٨.

*إبكار الأفكار للإمام الآمدي تحقيق أد/أحمد المهدي ط/دار الكتب المصرية جـ٢صـ،

* موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)

تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

* تراث الإنسانية، دار الرشاد الحديثة، = =القاهرة، بدون تاريخ للطبع ولا عدد، الجزء الثالث، " جمهورية أفلاطون "، للدكتورة أميرة حلمي مطر،